

معهد الحياة ودوره في الإصلاح ونهضة الجزائر
**Alhayat institute and its role in the reform
And renaissance of Algeria**

روميصة خضراوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، مخبر الدراسات العقدية

قسنطينة (الجزائر)

roumaissa.khadraoui@univ-emir.dz

تاريخ الإرسال: 2024/04/24 تاريخ القبول: 2024/10/22 تاريخ النشر: 2024/12/31

ملخص:

لقد كانت المؤسسات التعليمية والدينية في مطلع القرن العشرين، في كامل القطر الجزائري تشكل القاعدة الأساسية للمقاومة الثقافية. ويعد معهد الحياة صرحا فكريا ومركزا للنشاط الإصلاحي في منطقة وادي ميزاب، كان له دور في الإصلاح والنهضة في الجنوب خاصة والجزائر عامة. فجاء هذا البحث بهدف إبراز دور معهد الحياة في الإصلاح ووسائله في ذلك، وأثره في الواقع المعاصر ومدى نجاح هذا المشروع. أهم نتائج هذا البحث هي أن معهد الحياة من أهم مراكز الإصلاح في الجنوب الجزائري والجزائر عامة، اتخذ المعهد من التربية والتعليم وسيلة للإصلاح. خرج المعهد رجالا قادرين على تحمل المسؤولية، كان لهم يد في نهضة الشمال والجنوب.

الكلمات المفتاحية: معهد الحياة، الإصلاح، النهضة.

Abstract:

At the beginning of the twentieth century, educational and religious institutions throughout Algeria formed the fundamental basis of cultural resistance. Alhayat institute is an intellectual edifice and centre of reform activity in the Mizab Valley region, which played a role in the reform and renaissance of the South, especially Algeria in general.

This research was aimed at highlighting the Institute's role and means of reform, its impact on contemporary reality and its success. The main results of this research are that Alhayat institute is one of the most important reform centres in southern Algeria and Algeria in general. The Institute brought out men capable of taking responsibility, who had a hand in the North-South renaissance.

Keywords : Alhayat institute, Reform, Renaissance.

1. مقدمة:

شهدت الجزائر مطلع القرن العشرين أحداثا وتغيرات مهمة، على جميع المستويات السياسية والثقافية والاجتماعية. وظهرت حركة إصلاحية دينية ثقافية اجتماعية ساهمت في صنع الوعي وسط الشعب، وكان لها أثر في الإصلاح ونهضة الجزائر الحديثة.

وقد شكلت المؤسسات التعليمية والدينية الركيزة الأساسية لهذه الحركة الإصلاحية النهضة، في كامل التراب الوطني. ومعهد الحياة في بلدة "القرارة" يعد من أهم مراكز النشاط الإصلاحية في الجنوب الجزائري، يمثل صرحا فكريا وثقافيا، حقق أهدافا علمية وحضارية، فكان رائدا في المجال التربوي التعليمي في الجنوب الجزائري خاصة، والجزائر عامة أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، واستمر حتى بعد الاستقلال وإلى يومنا هذا. فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على نشاط معهد الحياة الإصلاحي وأثره في الواقع، وفي نهضة الجزائر الحديثة، فكانت الإشكالية المطروحة كالآتي: كيف ساهم معهد الحياة في الإصلاح، وما مدى تأثيره في الواقع وفي نهضة الجزائر؟

أهمية الموضوع:

يستمد الموضوع أهميته من أهمية معهد الحياة باعتباره من أهم مراكز الإصلاح في الجزائر، ويمثل تجربة إصلاحية تربوية رائدة. كما يستمد أهميته من خلال الآثار الإيجابية لهذا المعهد.

المنهج المتبع: اقتضت طبيعة الدراسة توظيف المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي.

2. معهد الحياة (النشأة والنظام العام للمعهد):

1-2 العوامل التي ساعدت على تأسيس المعهد:

لقد كان للبيئة الحضارية والتاريخية وأصالتها المستمدة من الدين الإسلامي، في وادي ميزاب دور في إنتاج أفراد متميزين ومصلحين تركوا بصمتهم في المجتمع.¹ ومن أبرزهم المصلح الكبير الشيخ الحاج عمر بن يحيى والذي كان له دور في ازدهار الحياة العلمية في القرارة. حيث فتح معهدا التف حوله التلاميذ والطلاب من مختلف الطبقات، وتواردت عليه البعثات العلمية من ميزاب ووارجلان، بث فيهم المعارف والأخلاق الإصلاحية. كان الشيخ محور وأساس الحركة الإصلاحية والتعليم في المنطقة، حتى وفاته المنية ليلة 27 رمضان 1339هـ (1921م).² فكانت وفاته صدمة لسكان مدينة القرارة، وظنوا أن الإصلاح قد انهار والتعليم انتهى وتوقف بوفاته. يقول الشيخ محمد علي دبوز في وصفه لحالهم عند وفاة الشيخ الحاج عمر: "أصاب الناس حيرة وذهول، وتسلبت عليهم اليأس والقنوط، وظنوا بأن النهضة التي هو عمادها ستنهار بعده وذلك المعهد العظيم الذي أنشأه سيغلق أبوابه..."³

لكن الله أراد أن يستمر نور هذه الحركة، ويمتد الإشعاع الديني والإصلاحي للشيخ عمر إلى تلاميذه ليحملوا رسالة الدعوة والإصلاح، فكان الشيخ إبراهيم بيوض من تلاميذ الشيخ عمر الذين حملوا الأمانة والرسالة من بعده، فرفع الراية من بعد معلمه، وهو شاب في الثانية والعشرين من عمره، وأخذ بأزمة المعهد.⁴

وقد سار معهد الشيخ عمر في البداية سيرا حسنا. كان الشيخ بيوض يدرس به فأظهر براعة في التدريس واقتدارا في التربية. فكان يلقي دروسه بفصاحة أسرت ألباب التلاميذ يتبع فيها منهاج حديثة بارعة هي التي تليق بالعصر،...بينما كان بعض المدرسين في المعهد يتبعون في دروسهم طرقا قاصرة لا تليق بالعصر وبالتلاميذ الذين ألفوا براعة الشيخ بيوض في

¹ كمال عويبي، دور مؤسسات التعليم بوادي ميزاب في الحفاظ على الهوية الوطنية معهد الحياة بغرداية نموذجا، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج:10، عدد7، ص334.

² سعيد بن الحاج شريفي، معهد الحياة نشأته وتطوره، تقديم: محمد صالح ناصر، جمعية الحياة وجمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط2، 2009، ص26.

³ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثروتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1969، ج3، ص6.

⁴ المصدر نفسه، ج3، ص6.

دروسه، كما كان في إدارة المعهد أشخاص يصرون على جمود المعهد على أساليبه القديمة وعدم زيادة بعض العلوم الضرورية التي يقتضيها العصر.⁵

وقد وصف الشيخ أبو اليقظان الحالة التي آل إليها التعليم ببلدة القرارة يقول: "فلما كان التعليم في كافة الشعوب ولدى سائر الأمم أخذ في التدرج والارتقاء إلا شعب ميزاب، ولا سيما بلدة القرارة منه، فقد بقي على أسلوبه القديم القليل النتيجة، فكر شببيتها المخلصون في وضع نظام لتعليم جديد. وهو مزيج بين الأسلوبين. لحلقة تصل بينها ريثما تتهيأ النفوس وتسنع الفرص، وتأتي الظروف للأخذ بكل الأسلوب الجديد، عملا بقاعدة النشوء والارتقاء".⁶

بالإضافة إلى طريقة الشيخ بيوض ومنهجه في التدريس كان في المعهد زمرة من كبار الطلبة سافر بعضهم إلى تونس فحضر دروس الخلدونية والزيتونة، فذاق حلاوة الأساليب البارة في التدريس. وعرف ما يقتضيه العصر من علوم واتصل البعض الآخر بتونس بواسطة صحافتها التي تدعو إلى التجديد في التربية والتعليم. وتصف ما يجري في معاهدها ومدارسها من ترق. كما كان الشيخ أبو اليقظان الذي يرأس بعثة علمية في تونس، وكبار طلبته في البعثة يكتبون إلى هؤلاء التلاميذ النباه بما يقع في الخضراء، وينبهونهم إلى النقص في معيشتهم ويتحفونهم بالكتب التي توسع آفاقهم.⁷ كل هذا ساهم في تنبيه طلبة المعهد إلى القصور والجمود في طرق التعليم وأنه لابد من التغيير ومواكبة العصر فعزموا على إصلاح المعهد أو استبداله بغيره يليق بعصره، لكن بعض من كانوا في إدارة المعهد أبوا هذا التغيير. فظهر بذلك نزعتان، النزعة المحافظة والتي تريد البقاء وجمود المعهد على ما كان عليه كما تركه الشيخ عمر بن يحيى، ونزعة المجددين الذين أرادوا إدخال مواد جديدة وإتباع مناهج وأساليب حديثة في التدريس وفقا لما يقتضيه العصر، وقد كان الشيخ إبراهيم بيوض على رأس فئة المجددين. ولا عجب أن يكون هذا الاختلاف في سنة الله أن يكون هنالك نزاع بين المحافظين والمجددين.

⁵ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 9.

⁶ محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، دار ناصر، الجزائر، ط 1، 2018، ج 2، ص 230.

⁷ المصدر السابق، ج 3، ص 9.

لما طال هؤلاء التلاميذ بإصلاح برامج المعهد وزيادة ما يجب من العلوم وكان الشيخ بيوض يشعر بالقيود الثقيلة التي تمنعه من الانطلاق في التربية والتعليم ورغبته في التطور، وزيادة العلوم التي يدعوا إليها العصر كالتوسع في التاريخ والأدب والإنشاء وغيرها، كما ساءته الأساليب القاصرة في التربية والتعليم وكان الطلبة يصرون على أن ينشأ لهم معهدا جديدا يجدون فيه كلما يريدونه وقد يأسوا من الإصلاح في معيهم...⁸ التفت جماعة إصلاح التعليم بعد أن قررت الانفصال إلى البحث الجدي في فتح معهد جديد وتحديد موعده، فكانت بذلك نشأة معهد الحياة الذي كان امتداد لما قبله من المعاهد والمؤسسات التربوية في بلدة القارة، ولم يكن منفصلا عنها، اختلف معها في كونه جدد الحركة العلمية وطورها بما يوافق العصر.

من أبرز الشخصيات الذين التفوا حول معهد الحياة وأيدوه وكانت لهم يد في تأسيسه وإصلاح نظام التعليم في البلدة: الشيخ إبراهيم بيوض، الشيخ قاسم بن عيسى، الشيخ محمد بن حمو، الشيخ بالحاج بن محمد، الشيخ عدون بن بلحاج، الشيخ عمر بوحجام، الشيخ صالح بن يوسف، الشيخ عبد الله بن إبراهيم الدلال، الشيخ أبو اليقظان.⁹

2.2 افتتاح المعهد:

تم إنشاء معهد الحياة في يوم الجمعة 28 شوال 1343هـ. 21 ماي 1925م فازدهر واشتهر، وأقبلت إليه البعثات العلمية من مدن ميزاب وغيرها. وكان معهدا عظيما كَوَّن للجزائر والمغرب الإسلامي أجيالا كثيرة من الطلبة الصالحين والمثقفين المصلحين كانوا جند الإصلاح، وبناء النهضة، وجنود الثورة الجزائرية، وبناء الجزائر المخلصين الناشطين الأكفاء بعد الاستقلال في شتى الميادين.¹⁰

⁸. المصدر نفسه، ج3، ص11.10.

⁹. محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ج2، ص230.

¹⁰. محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 إلى عام 1975، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1976م.

ج2، ص195.

سمي المعهد في أول الأمر (معهد الشباب) وبقي بهذا الاسم إلى سنة 1375 هـ. 1954 م ثم أصبح يسمى معهد الحياة نسبة إلى جمعية الحياة الخيرية التي تقوم به.¹¹

2.3 إدارة المعهد وتلاميذه:

إدارته: كان الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض هو منشئ معهد الحياة وهو الذي يقوم به، وكان أيضا الشيخ محمد الطرابلسي ممن رحب بمعهد الحياة وأيده وحضر حفلة التدشين.

وتلاميذ المعهد هم الذين يتولون إدارته مع الشيخ بيوض، وهذا هو السبب الذي ساعد على ازدهاره ومسايرته للعصر، ولبس في كل دور شباب تلاميذه النبغاء الذين يشتركون في إدارته.¹²

تلاميذه: معهد الحياة ما هو إلا امتداد لما قبله من حركة التعليم والإصلاح في المنطقة. لذلك فقد كان تلاميذ المعهد الأولين هم تلاميذ معهد الشيخ عمر بن يحيى الناهيون، وانضمت لهم فئة من تلاميذ الشيخ الطرابلسي فكان عددهم نحو خمسة عشر طالبا.¹³ كان عددهم في السنوات الأولى أفرادا قلائل ثم نموا نموا مطردا على توالي السنين فأخذت البعثات تتوارد على المعهد من ميزاب وأنحاء الجزائر عامة ومن جبل نفوسة، إلى أن بلغ عددهم بضعا وتسعين تلميذا إبان الحرب الكبرى.¹⁴

2.4 شروط الالتحاق بالمعهد:

لقد كان لمعهد الحياة شروط لابد من توفرها حتى يقبل الطالب به، وذلك كغيره من المعاهد التي وجدت قبله.

¹¹ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص19.

¹² المصدر نفسه، ج3، ص20، 21.

¹³ المصدر نفسه، ج3، ص20.

¹⁴ سعيد بن بالحاج شريقي، المصدر السابق، ص65.

فكان أول شرط هو حفظ القرآن كله واستظهاره على إمام المسجد قبل البدء في العلوم، لذلك أنشئ في المعهد في أول أمره قسم خاص لحفظ القرآن الكريم يتولاه معلم خاص.¹⁵ وجعل هذا الشرط الأول والأساسي للدخول إلى المعهد لأن القرآن الكريم هو أساس العلوم جميعا، لا سيما العلوم الشرعية، وهو أساس التربية كلها، وحفظ القرآن هو أفضل ما يربى نفس التلميذ وعقله ولسانه للتعليم الثانوي والعالى. فهو يقوى الإرادة في التلميذ، ويكسبه فصاحة اللسان، ويزوده بثروة كبيرة في العربية الفصحى... فهناك فرق كبير بين من يحفظ القرآن الكريم ومن لا يحفظه..¹⁶ كما أن القرآن الكريم له انعكاس وتأثير على شخصية المتعلم وعلى سلوكه وأخلاقه، فحافظ القرآن يكون أكثر تخلقا وانضباطا، يعرف قيمة العلم والمعلم وهي الشروط الواجب توفرها في طالب العلم.

تمسك المعهد بشرط حفظ القرآن الكريم إلى أوائل الأربعينيات حيث وقع التساهل في هذا الشرط، فاستبدل شرط الختم بالاستظهار، تسهila لانخراط الطلبة، وتخفيفا عنهم، واكتفى بجعله مادة من المواد الأساسية.¹⁷

كما يشترط المعهد في تلاميذه السلامة من الأمراض الجسمية و العاهات الخلقية.¹⁸ وهو شرط مهم وذلك لأن الأمراض تؤثر في اغلب الأحيان على التحصيل العلمي لدى التلميذ.

2. 5 موقع المعهد: كان مقر المعهد في بدايته في دار جميلة واسعة نظيفة، أوقفها والد الشيخ بيوض السيد عمر بن بابه رحمه الله لتكون معهدا.¹⁹ وبقيت الدروس تلقى في هذه الدار مدة خمسة عشر عاما، لكن لما ازداد عدد التلاميذ في المعهد ضاقت بهم الدار فأصبح من الضروري تغييره إلى مكان أوسع، فنقل المعهد إلى المسجد في ذي القعدة 1360هـ، أول ديسمبر 1941.²⁰

¹⁵ محمد علي ديبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 39.

¹⁶ المصدر نفسه، ج3، ص 39.40.

¹⁷ سعيد بن الحاج شريفي، المصدر السابق، ص 74.

¹⁸ المصدر السابق، ج3، ص 40.

¹⁹ المصدر نفسه، ج3، ص 19.

²⁰ سعيد شريفي، المصدر السابق، ص 68.

3. جهود المعهد ووسائله في الإصلاح:

لقد عم الفساد جميع مناحي الحياة، وانتشر الجهل لذلك كان لابد من الإصلاح والتغيير، وقد وصف الشيخ بيوض هذه الحالة يقول: "وجدنا الدين مهملاً، والأخلاق فاسدة والعقائد متزلزلة، والأعمال فاسدة، ليس على طريقة وسنة الرسول وصحابته، والجهل عم الدنيا في تجارة وصناعة وفلاحة".²¹ فاتخذ رواد الحركات الإصلاحية في المنطقة من المدارس والكتاتيب والمعاهد عموماً وسيلة من وسائل الإصلاح والتغيير، والعناية بتعليم النشء وتربيته وتوجيهه، باعتبار أن التربية والتعليم هما أساس التقدم والتحرر من وطأة الاستعمار وتحقيق النهضة المرجوة. ومعهد الحياة كغيره من المعاهد الغرض من تأسيسه هو تربية الناشئة وتعليمها، ومحاربة الفساد الخلقي، وتكوين رجال صالحين مصلحين، مسلحين بالثقافة العربية الإسلامية حتى لا تؤثر فيهم السياسة الاستعمارية ولا يذبون في ثقافة المستعمر ودينه.

11.3 الإصلاح من خلال التربية:

التربية في مفهوم الحركة الإصلاحية هي ذلك الجهد الذي يبذله العلماء والدعاة والمصلحون في سبيل ضبط سلوك الأفراد وفق الشريعة الإسلامية، ثم توجيه هذا السلوك لخدمة الصالح العام، والتفاعل الإيجابي مع قضايا المجتمع بحمل همومه وانشغالاته والإسهام في خدمته وإصلاحه.²² فالإصلاح التربوي هو أساس بناء شخصية المسلم القيادي الذي ينهض بأمرته نحو الأفضل، وهو أساس تكوين فرد فعال في مجتمعه لا يبحث عن حظه فقط في هذه الحياة وإنما يتعدى نفعه إلى المجتمع فيؤدي رسالته كمسلم. لذلك عمل رجال الإصلاح في معهد الحياة على تطهير النفوس أولاً، وتربيتها ثم تعليمها لأن العلم كما شبهه الشيخ أبو اليقظان كالعسل لا يوضع إلا في وعاء نظيف وإلا سرى الوسخ إلى العسل فأفسده.²³ وقد كان الشيخ بيوض وغيره من أساتذة المعهد يستعملون كل الوسائل الناجحة في التربية. ويعملون على تربية الأجيال تربية إسلامية، لا تقتصر على جانب دون الآخر وإنما

²¹ محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، المصدر السابق، ج 4، ص 145.

²² محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 119.

²³ إبراهيم أبو اليقظان، موجة الإصلاح الديني، جريدة البصائر، العدد الأول، 1935، ص 9.

تركز على جميع الجوانب في الإنسان بدءا من التربية الخلقية والعقلية إلى التربية الجسدية والنفسية...

أ. العناية بالتربية الدينية والخلقية:

أهم ما ركز عليه أساتذة المعهد التربية الخلقية باعتبارها أساس التربية العقلية. فكان شعار معهد الحياة الذي يكتبه حيث يراه التلاميذ جميعا، ويقرره في نفوس الطلبة بكل وسيلة هو: " الخلق قبل العلم، ومصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد".²⁴ فتهذيب الأخلاق هي الأساس الذي يجب أن يركز عليه المربي قبل تلقين المتعلم العلوم والفنون. يجب أولا تطهير نفس المتعلم من الشرك وذلك من خلال غرس التوحيد والإيمان في نفسه، وتركيتها وتهذيبها من منكرات الأخلاق وهذا منهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة وتربية الناس. وهو ما عجزت المناهج التربوية الحديثة عن تحقيقه والوصول إليه اليوم. فالدين هو أساس الأخلاق والعقيدة الصحيحة، وهو الذي يضبط سلوك الإنسان وغرائزه. لهذا يعتني معهد الحياة بالتربية الدينية كل الاعتناء ويغرس الدين الإسلامي بكل الوسائل في نفوس التلاميذ... ويبني فيه العقيدة ويرسخها بكل الوسائل العلمية والتربوية. فكانت عناية أساتذة المعهد أولا بالتوحيد فأول ما يحفظه الصغار من السور الأولى من القرآن وهم في الحداثة دون البلوغ، ثم تكون أول ما يدرسون إذا كانوا في المراهقة قبل البلوغ، ثم يدرسون العقيدة في كتب الفقه الكبرى بنحو فلسفي، ويدرسونها في كتب علم الكلام إذا كانوا في الطبقات العليا. وكل ذلك لتزكية نفوسهم وتعميق أسسها حتى لا يستطيع الجهل والاستعمار والمحدون فيها شيئا.²⁵ وكذلك يعتبر معهد الحياة أن القرآن هو أساس العلوم جميعها، سيما العلوم العربية والشريعة، وهو أساس التربية كلها، وأثاره لمن تدبره في خلقه وعقله ولسانه وجسمه لعظيم. لذلك جعل منه شرطا لدخول المعهد.

²⁴ محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 25.

²⁵ المصدر نفسه، ج 3، ص 26.

كما خصص المعهد درسا مستقلا خاصا بالأخلاق في كل يوم يحضره جميع الطلبة، وكان يقع في الصباح في أول الدروس وقت نشاط النفس وإقبالها. وفي المسجد أيضا كان هنالك درس أخلاقي كل يوم يلقيه الشيخ بيوض على العامة ويحضره الطلبة.²⁶

كما كان يراقب طلبته وسلوكهم داخل المعهد وخارجه، وإذا انحرف أحد في سلوكه يسارع المعهد لعلاجيه بالإقناع بالوسائل اللينة، وإذا لم يرتدع يعقد له مجلس تأديبي. وكان لهذه المجالس التأديبية أثر في نفوس التلاميذ وهي أكبر رادع لهم عن الانحراف.²⁷ إن الأخلاق هي الأساس لذلك يبذل المعهد كل جهده لغرسها في طلابه.

ب. اعتناء المعهد بالتربية الجسمية:

إن التربية الإسلامية لا تهمل أي جانب في الإنسان بدءا بالأخلاق والآداب العامة وانتهاء إلى التربية الجسمية والنفسية، وذلك من أجل تحقيق التكامل في بناء الشخصية وحتى لا يطغى جانب على الآخر. بالإضافة إلى التربية الأخلاقية والعقلية نجد المعهد يعتني بالتربية الجسمية للطلبة، فهو معهد النشاط والجد والعمل في كل النواحي. فكان الطلبة بعد الانتهاء من الدرس في المعهد وعودتهم إلى منازلهم، يذهبون إلى بساتينهم وحقولهم للعمل فيها نحو ساعتين في كل يوم. وهذا العمل أحسن رياضة للجسم يعول عليها المعهد في ما يجب عليه في التربية الجسمية، وإنه يحث التلاميذ على النشاط والعمل في البستان خارج أوقات المعهد.²⁸ فهو يعمل لتخريج التلميذ رجلا كاملا في رجولته، مثقفا في عقله مهذبا في نفسه، قويا في بدنه. لذلك تم تأسيس جمعية باسم "كشافة الجنوب"، عנית برياضة الأجسام. كان لها تدريبات أسبوعية تتدرب فيها على الأعمال الكشفية، وتقوم بخدمات تطوعية في المشاريع الكبرى. وتنظيم رحلات التخميم، والحفلات.²⁹

²⁶ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص31.

²⁷ المصدر نفسه، ج3، ص32.

²⁸ بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دارالنفائس، بيروت، ط3، 1983، ص198.

²⁹ سعيد شريفي، المصدر السابق، ص92.93.

أثر البيئة وأساتذة المعهد في العملية التربوية:

تمثل البيئة أهم عامل يعتمد عليه المربي في عملية التربية، فهي تؤثر في تكوين شخصية الفرد ومنها يكتسب عاداته وقيمه، وأول شرط لنجاح العملية التربوية هو تهيئة البيئة الملائمة. ولقد توفر هذا الشرط في بيئة معهد الحياة فكانت بيئة دينية خلقية، أساتذته وطلوبته وحاشيته من تلاميذه القدماء وأنصاره كلهم مطبوعون بالتدين، والخلق الإسلامي القويم.³⁰

والشيخ إبراهيم بيوض يرى أنه لا نجاح للمنظومة التربوية إذا لم تعتمد على التربية الدينية المبنية على أخلاق القرآن، والمرتكزة على القدوة الصالحة في شخصية المعلم والمربي.³¹ فلا يخفى على أحد مدى تأثير المتعلم بمعلمه لا سيما في مراحله الأولى، لذلك يجب أن يكون المعلم قدوة، وقد بين الأستاذ محمد ناصر بوحجام دور المعلم وتأثيره يقول: "إن شخصية المعلم تقوم بدور أساسي في عملية التوصل والتعليم، فهي تؤثر تأثيرا قويا في نفسية المتعلم إيجابا وسلبا، ونعني بالشخصية هذه المميزات التي يتمتع بها المدرس من الناحية الخلقية والتكوين العلمي والكفاية التربوية، فنجاح المعلم يتحقق بقدر ما يتوفر له من هذه الجوانب."³² وقد كان في معهد الحياة شخصيتان عظيمتان حرصا على التربية الخلقية وانهجوا إليها كل الطرق والوسائل. أولها الشيخ إبراهيم بيوض الذي كان أكبر سبب لغرس الدين والأخلاق الحسنة في نفس تلاميذه. فقد آتاه الله من الشيم الحسنة، والأخلاق العظيمة، وكان قوي الشخصية يشعر به التلميذ يغشاه من كل نواحيه، ويؤثر فيه في كل جهاته، وكان تلاميذه يحبونه حبا جما. فلفتهم هذا الحب إليه وصار هو مثلهم الأعلى، يعجبون بعلمه وخلقه فنهجوا نهجه وواظبوا على سيرته، فتعلموا منه حسن العشرة والعمل لله، والغيرة على الدين والأمة، وحب العلم والطموح فيه، وكل الأخلاق الفاضلة التي أمر بها الدين، والتي تجعل الإنسان نافعا لنفسه وأمته. ونجد أيضا الشيخ عدون بن الحاج

³⁰ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3 ص26.

³¹ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند الإباضية (رسالة دكتوراه: تخصص عقيدة)، قسم

العقيدة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، الجزائر، ص228.

³² محمد ناصر بوحجام، المعلم الكفاء يحل كثيرا من مشاكل التعليم، مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة، القرارة، نشر

جمعية التراث، غرداية. الجزائر، ع1، 1998، ص88.

الذي كان السبب الأكبر في نجاح معهد الحياة في التربية.³³ وتلاميذ الشيخ أنفسهم يعترفون بالآثار الروحية والمعنوية الأصيلة، التي تركتها في أعماق نفوسهم شخصية الشيخ عدون، إخلاصا وورعا وتفانيا وتضحية، وحبا للغة القرآن والدين الإسلامي.³⁴

ومن العوامل التي ساعدت المعهد في النجاح في التربية الخلقية على الخصوص هو أنه في بلدة القرارة التي يسودها الدين ويعمها الصفاء وحسن النية. فكانت أكبر عامل يطبع تلاميذ المعهد بهذه الصفات، وبالأخلاق الإسلامية العظيمة. فلو كان في غيرها من المدن المعركة ما نجح في تربيته، وما قدم للجزائر أجيالا كثيرة صالحة كانت عماد النهضة وحياتها في كل أنحاء الجزائر.³⁵

مما سبق نستنتج أنّ التربية مقدمة على العلم وهي أول ما يجب أن يركز عليه المعلم، فما أصاب المجتمع الإسلامي اليوم من مشكلات يعود بالدرجة الأولى إلى أزمة الأخلاق وتراجع القيم الإسلامية، والسبب في هذا التراجع هو الهوة الكبيرة بين العملية التربوية والتعليمية، فالاستراتيجيات المتبعة اليوم في مدارسنا لا تفي بالغرض، وأصبحت تلقن للنشء العلم دون التركيز على المبدأ الأخلاقي الذي يغذي فيهم النزعة الإنسانية ويدفعهم نحو الخيرية والفاعلية. يقول مالك بن نبي أنه يمكننا إدراك معنى فاعلية المبدأ الأخلاقي في المجتمع حيث يدفع إلى تحقيق الأشياء من الآية التي يصف بها الله المؤمنين³⁶ قال تعالى: "أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون".³⁷

³³ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر سابق، ج 3، ص 27، 28، 29.

³⁴ محمد صالح ناصر، مقدمة كتاب نشأة معهد الحياة وتطوره، ص 7.

³⁵ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر سابق، ج 3، ص 22.

³⁶ مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط 2، 2002، ص 149.

³⁷ سورة المؤمنون، آية: 23.

2.3 الإصلاح من خلال التعليم :

التعليم في مفهوم الحركة الإصلاحية هو ذلك الجهد الذي يبذل في سبيل تثقيف المجتمع وإشاعة العلم والمعرفة في شرائحه بما يمكن أفرادها من إدراك واجباتهم الشرعية، ومسؤولياتهم الدنيوية حتى يسهموا في بناء المجتمع القوي الصالح بدينه وعمله.³⁸

والعلم هو أساس بناء الحضارات وتغيير المجتمعات والنهضة بهم من ظلمات الجهل والتخلف إلى التقدم والازدهار، فكان أول ما نزل من القرآن على الرسول محمد ﷺ آيات العلم. وقد أدرك رواد الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي هذه الأهمية وآمنوا بأن التعليم هو السبيل المضمون للمحافظة على مقومات المجتمع والهوية الوطنية، فبالعلم فقط يتعرف الفرد على دينه وواقعه ويتخلص من القابلية للاستعمار. فكانت العملية التعليمية مشتركة بين جميع الحركات الإصلاحية وقد كان لمعهد الحياة نظام خاص بالتعليم وميزته عن غيره من المعاهد مجموعة من المميزات.

أ. الغاية من التعليم في معهد الحياة: لم تكن الغاية من التعليم في المعهد هي تلقين العلوم فقط وإنما كانت الغاية من العملية التعليمية هي:

أولاً: طلب رضى الله تعالى، وشرف العلم نفسه، ونفي الجهل عنه.

ثانياً: تكوين الملكات العلمية في مختلف العلوم، وتثقيف العقل، وتربية النفس تربية صحيحة، وإعدادها لتحمل أعباء الإصلاح الديني والوطني.³⁹

ثالثاً: إصلاح المعتقدات الفاسدة التي توجه سيكولوجيا المجتمع وقواه النفسية، وإصلاح كل ما أفسده الاستعمار في هذا الوطن يقول الشيخ بيوض: "عرفنا منذ زمن بعيد أن لا إصلاح للوطن إلا بالعلم الصحيح، فدرجنا في سبيله، وضحينا فيه بكل عزيز".⁴⁰

³⁸ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر سابق، ج3، ص119.

³⁹ المصدر نفسه، ص23.

⁴⁰ المصدر نفسه، ج4، ص74.

هذه هي الغايات والأهداف من العملية التعليمية في معهد الحياة، فالعلوم والفنون التي كانت تقدم في المعهد إنما هي وسيلة وبواعث يتدرج بها الطالب ليكون رجلاً صالحاً نقياً، مؤهلاً للدخول في ميادين الحياة، أيّاً كان نوعها.⁴¹ وهي الغايات نفسها التي أنشأت من أجلها المعاهد قبل معهد الحياة.

ب. خصائص ومميزات التعليم في معهد الحياة: إن المتتبع لمسيرة التعليم في معهد الحياة يلاحظ أنه يمتاز بالعديد من المميزات والخصائص التي ميزته عن المعاهد السابقة، ومن أهم هذه الخصائص:

- إتباع المناهج والأساليب الحديثة في التعليم.
- الطموح والإتقان والمرونة.
- يسائر تلاميذه ونبوغهم وتطور العصر وحاجاته. فقد كان الشيوخ يراعون في التدريس فهم التلاميذ كل على حسبه من أي باب وبأي أسلوب من إيضاح تام، وتكثير الأسئلة. وكلما تم موضوع يكون هناك أسئلة شفاهية، ولا ينتقل إلى موضوع آخر حتى يقتل ما قبله بحثاً وتحقيقاً.⁴²
- لا يجمد على كتاب واحد، وعلوم واحدة، فإذا وجد كتاباً في علم من علومه أحسن من المقرر عنده قرره، وإذا دعت ضرورة الحياة لبعض العلوم زادها.⁴³ وقد كان لابد من هذا التقدم ومسيرة العصر، وما يحتاجه الطالب في واقعه المعاش، حتى يتسنى لهذه الحركة الاستمرار والنجاح.
- أهم ما ميز المعهد هو أنه ربط العملية التعليمية بالحياة ربطاً وثيقاً.
- إعداد الطالب للاعتماد على أنفسهم في العلم والتعلم.

⁴¹. سعيد شريفي، المصدر السابق، ص 74.

⁴². محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ج 2، ص 231.

⁴³. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 65.

- تنوع الأنشطة في المعهد مثل إنشاء الفرق التمثيلية، وتحرير المجلات الأدبية والعلمية وتنظيم الرحلات...⁴⁴

وكان لطلبة معهد الحياة بالإضافة إلى الدروس، ميادين أخرى يعملون فيها عقولهم وساهمت في تنمية قدراتهم العقلية وتطوير أفكارهم، فقد كان للمعهد مؤسسات تابعة له جعلته أكثر فاعلية، أهمها:

- جمعية الشباب: أسست في السنة الثانية من تأسيس المعهد أي سنة 1926م. كانت بمثابة ناد أدبي يتبارى فيه الطلبة في تطبيق دروسهم عمليا بالخطب والمحاضرات والمناظرات، وانتقاد الأعمال والسلوك وتبادل الآراء.. وكان لها أثر كبير في سير المعهد وتقدمه.⁴⁵

- جريدة الشباب: كان للجمعية جريدة باسم " الشباب"، تصدر كل أسبوع يشارك في تحريرها جميع الطلبة، يكتبها أحسنهم خطا. ولهم مجلة باسم " الشباب" ثم باسم الحياة" كانت شهرية ثم فصلية تتناول الأدب والفقه والتاريخ. وقد كان لها أثر في تثقيف العقول وتنمية المواهب، وحسن التعبير والأساليب.⁴⁶

- مكتبة معهد الحياة: مكتبة تابعة للمعهد، بدأت ببعض عشرات الكتب من كتب الشيخ بيوض، ثم تزايد بعد ذلك عدد الكتب ليصل إلى ما يزيد على 6000 عنوان في جميع الفنون أغلبها في اللغة العربية وفي الشريعة الإسلامية.⁴⁷

لقد نجح معهد الحياة في التربية العقلية، ونشر العلم فأنشأ للجزائر جيلا مثقفا، قوي الإدراك، صائب التفكير، بلغ الكثير من طلبة المعهد الدرجات الراقية في العلوم والفنون، كما سدوا ثغور الجهاد ووقفوا في وجه المستعمر.⁴⁸

⁴⁴. بسام العسلي، المرجع السابق، ص 200.

⁴⁵. سعيد شريفي، المصدر السابق، ص 78.77.

⁴⁶. المصدر نفسه، ص 79.

⁴⁷. سعيد الشريفي، المصدر السابق، ص 81.

⁴⁸. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 38.

تكمن أهمية التجربة التربوية التعليمية لمعهد الحياة في أنها لم تقتصر على التكوين النظري فقط بل جمعت بينه و بين التربية الخلقية والبدنية. فكانت بذلك تربية متكاملة تجمع بين العقل والروح والجسد.

4. أثر الإصلاح في معهد الحياة في الواقع ونهضة الجزائر الحديثة:

يمكن أن نقيس مدى نجاح معهد الحياة في الإصلاح وتأثيره في الواقع وفي النهضة من خلال تتبع انجازاته، نتائج طلابه والدور الذي قاموا به في المجتمع، والمراتب التي وصلوا إليها، وإنتاجهم الفكري ومؤلفاتهم.

1.4 انجازات المعهد والنتائج التي حققها:

أسس معهد الحياة من أول يوم على تقوى الله، واستطاع أن يحقق الغاية التي أنشئ من أجلها وهي الإصلاح، فكان للحركة التربوية التعليمية التي قام بها مشايخه أثر عظيم في نفوس وفي نهضة الجنوب الجزائري، وامتد هذا التأثير إلى الشمال أيضا. يقول الأستاذ مصطفى باجو: "بفضل معهد الحياة امتد نور الإصلاح فعم وادي ميزاب ومدن الجزائر، وتفيأت ظلاله بلدانا أخرى مثل تونس وليبيا وغيرها من الأقطار. وسطع نجم خريجي المعهد حيثما ارتحلوا، وكانوا شموسا مضيئة، شرفوا المعهد وأنفسهم ووطنهم، وتبوؤوا مقاعد سامية في هيئات حكومية وخاصة تعليمية وإدارية، ورصعوا صدور الجامعات والمؤسسات المختلفة، ونجحوا في شتى ميادين الحياة التجارية والصناعية والمهنية".⁴⁹

فقد حقق طلبة المعهد نجاحا في شتى المجالات فكان منهم أئمة ومشايخ في المساجد، هداة مرشدين مبشرين، وكان منهم دكاترة وأساتذة متفوقون في ميدان التربية والتعليم والصحة، ومكاتب الهندسة والمحاماة والعدالة. وفي الهيئات المنتخبة من مجلس الأمة، وفي الإدارة العامة، كما كان منهم كتاب بارعون وشعراء نابغون.⁵⁰

⁴⁹ مصطفى بن صالح باجو، الشيخ سعيد بن الحاج الشريفي في الخالدين، مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة، القرارة،

نشر جمعية التراث، غرداية. الجزائر، ع 10، أكتوبر 2006، ص 238.

⁵⁰ سعيد بن الحاج شريفي، معهد الحياة ورسائله، مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة، القرارة، نشر جمعية التراث،

غرداية، ع 2، 1999، ص 1615.

وعُرف عن الرجال الذين دفعهم معهد الحياة إلى الحياة العامة إخلاصهم لدينهم ووطنهم، وكفائتهم وصلاحهم وجهادهم المخلص وعملهم ابتغاء مرضاة الله وحده.⁵¹ فكان لهم دور في الثورة التحريرية الكبرى كانوا أكبر نصير للحركات الوطنية. فقد نصروا جمعية العلماء المسلمين بكل ما أوتوا من قوة، ونصروا حزب البيان وحزب الشعب، ولما اندلعت الثورة كانوا في الشمال والجنوب جندها المخلصين، وكانت دكاكينهم التجارية ومساكنهم في مدن الشمال معاقل للثورة. أما بعد الاستقلال فقد شملوا عن السواعد لبناء الجزائر في كل الميادين... فكان بعض خريجي المعهد في بلاد الشمال مدرسين في المدارس العربية الحرة التي ينشئها الميزابيون في كل بلد يحلون فيه في الشمال. فازدهرت بهم تلك المدارس وظهرت نتائجها العظيمة في عقول الطلبة وأخلاقهم وسلوكهم. فكانت هذه المدارس أكبر منبع للعربية والتربية الدينية الصحيحة.⁵² يقول الأستاذ محمد علي دبوز مؤكدا دور أبناء المعهد في نهضة الجزائر: "لقد تطورت النهضة تطورا عظيما، وبلغت قنفا الرفيعة بأبناء معهد الحياة. هذه الأجيال العديدة التي رباهها تربية دينية صحيحة وزودها بالعلم النافع والخلق الرفيع، فنزلت إلى كل الميادين، تسد الثغور ببراعة وإخلاص، وتندفع بالأمة في قوة وسداد، تصارع أعداء النهضة في شجاعة وثبات، فارتفعت راية النهضة في كثير من النواحي الميطة، وانتصر الإصلاح في كثير من البلاد التي كان فيها مهيبض الجناح، يستكلب عليه الباطل ويتناول عليه المفسدون.⁵³

24 نماذج من طلبة المعهد الذين كان لهم دور فعال في المجتمع:

كما ذكرنا سابقا لقد كوّن معهد الحياة للجزائر إطارا، تولّوا عدة مناصب مهمة في مختلف المجالات (التعليم في مختلف المستويات، الإدارات، البرلمان، التأليف...) وسنذكر بعض النماذج من طلبة المعهد. على سبيل المثال لا على سبيل الحصر. الذين أكملوا دراستهم العليا وتحصلوا على شهادة الماجستير والدكتوراه، وكان لهم إسهامات متنوعة:

⁵¹. بسام العسلي، المرجع السابق، ص 212

⁵². محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 182. 183.

⁵³. المصدر نفسه، ج 3، ص 178.

1. محمد علي دبوز: محمد بن علي بن عيسى دبوز، من مواليد سنة 1919م. تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزءا من القرآن الكريم في الكتاب بمسقط رأسه بريان، ثم نقله والده إلى حلقة معهد الحياة وأصبح أحد تلاميذه سنة 1934، تتلمذ على يد الشيخ إبراهيم بيوض، والشيخ عدون وغيرهما... وفيه حفظ القرآن الكريم كاملا وكان من أبرز وأنجب تلاميذ المعهد، بعد تخرجه من المعهد التحق بجامعة الزيتونة ومعهد ابن خلدون ليكمل تعليمه العالي في تونس. تولى التدريس في معهد الحياة وكان له دور عظيم في تطوير برامج الدراسة في المعهد. دخل ميدان التأليف سنة 1950م⁵⁴ فكان أول كاتب جزائري ينشر كتابا باللغة العربية بعد الاستقلال⁵⁵. أصدر أحد عشر كتابا في التاريخ الجزائري والإسلامي،⁵⁶ من مؤلفاته: سلسلة تاريخ المغرب الكبير في ثلاثة أجزاء، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة في ثلاثة أجزاء، أعلام الإصلاح في الجزائر في خمسة أجزاء... توفي رحمه الله سنة 1981. ترك مكتبة ثرية غنية بالوثائق المصورة والمسجلة حافلة بأبحاث الكتب سميت بمكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز.
2. يحيى محمد بكوش: من مواليد 1932 بمدينة غرداية، تلقى تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن الكريم واستظهره بمعهد الحياة. تحصل على الشهادة العالمية في الشريعة الإسلامية من جامع الزيتون، وبكالوريوس في الحقوق من كلية بغداد. تقلد عدة مناصب مهمة منها قاضي محكمة البلدية، مستشار بمجلس قسنطينة، رئيس عدة أقسام بالمحكمة العليا. كما كان رئيسا للجنة الوطنية للتعريب. كلف بعدة مهام رسمية خارج الوطن. من إنتاجه الفكري ألف كتابا يعد من أهم مراجع القانون لأصحاب الاختصاص بعنوان "أدلة الإثبات في القانون المدني الجزائري مقارنة بالفقه الإسلامي"، كما ألف كتاب "فقه الإمام جابر بن زيد" ويعتبر هو الآخر مرجعا مهما للمذهب الإباضي... توفي رحمه الله سنة 2014.⁵⁷

⁵⁴. يوسف الوهاج، محمد علي دبوز من أعلام الإصلاح في الجزائر، متوفر على موقع مكتبة نور، ص 6.4.3.

⁵⁵، محمد خير رمضان، تنمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1466هـ، ج2، ص 202.

⁵⁶ الموقع الرسمي للشيخ محمد علي دبوز، مكتبة الصفاء، تاريخ الدخول 2023.11.02.

⁵⁷. المكتبة السعيدية، يحيى محمد بكوش، تاريخ لدخول 2023.11.02.

3. سليمان بوعصبانة عمر بن حمو بن عمر: من مواليد 1942م، تلقى تعليمه بمعهد الحياة، أكمل الدراسات العليا وتحصل على شهادة الماجستير من جامعة الجزائر، ثم شهادة الدكتوراه من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة. تولى عدة مناصب منها التدريس في مدرسة الحياة بالقرارة، وأستاذ في المعهد التكنولوجي لتكوين الأساتذة والمعلمين، أستاذ محاضر بمعهد الحضارة بجامعة وهران، وعمل نائبا لرئيس القسم ورئيسا للجنة العلمية. كما درس خراج الجزائر...فتحمكتبة علمية وضعها في خدمة الباحثين، وخصص لها دارا بمسقط رأسه. عضو في تأليف "معجم أعلام الإباضية" ومعجم "مصطلحات الإباضية"، أفنى عمره في طلب العلم والبحث عن المخطوطات وخدمة الباحثين عبر العالم، والدعوة إلى الارتباط بكنوز الأمة العلمية والمعرفية. توفي رحمه الله يوم الجمعة 18 مارس 2022.⁵⁸

4. محمد بن قاسم ناصر بوحجام: من مواليد 1951م، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمعهد الحياة تخرج منه سنة 1972. بعدها تحصل على ليسانس في الأدب العربي ودبلوم الدراسات الإسلامية بالقاهرة. تحصل على شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث. ودكتوراه في علم النفس. اشتغل أستاذ جامعي بجامعة الحاج لخضر باتنة. مارس عدة مهام ووظائف تعليمية وتربوية واجتماعية. أسهم محمد ناصر بوحجام في المجال العلمي والأدبي والثقافي بما يزيد عن سبعين مؤلفا، وأربعمئة مقالة ودراسة في الجرائد والدوريات العربية، وله قصص أطفال وعدة أبحاث منشورة.

تناول في مؤلفاته القضايا الفكرية والعلمية والقضايا الاجتماعية والأخلاقية والتربوية والتاريخية والسياسية من خلال تشخيص الواقع ونقده وتوعية أفراد المجتمع وتحسيسهم.⁵⁹

⁵⁸. جمعية التراث، الأستاذ الدكتور والشيخ الوقور الحكيم عمر بن حمو سليمان بوعصبانة، تاريخ الدخول: 2023.11.02م.

⁵⁹. محرز عبد السلام، محمد بن قاسم ناصر بوحجام وإسهاماته الأدبية، مجلة السياق، مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري، جامعة غرداية، المجلد 7، ع1، 2022، ص5، 6.

بالإضافة إلى هؤلاء فقد كان من طلاب معهد الحياة:

- مديرو المعاهد التكنولوجية أمثال الأستاذ الوارث أحمد بن زكري مدير المعهد التكنولوجي بالمدينة.
 - مديرو التربية أمثال الأستاذ بيوض عمر مدير التربية بولاية خنشلة، الأستاذ إبراهيم مردوخ مدير الثقافة بولاية ورقلة.
 - إدارات في الهيئات الدولية أمثال الدكتور الخرفي صالح ممثل الحكومة المؤقتة في المهرجانات الدولية، ومسئول العلاقات الثقافية بين الجزائر والبلاد العربية ومدير معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر. والمجاهد الشيخ بالحاج عمر بن الحاج محمد إطار دبلوماسي، وسفير الجزائر في العديد من الدول...⁶⁰
 - كان منهم العزابة في الميدان الديني، والرؤساء والأعضاء البارزون في الجمعيات الخيرية التي تقوم بشؤون النهضة، والوعاظ والخطباء، ونزلوا الميدان التجاري فمضوا بالتجارة الإسلامية في الجزائر. وأصبح وادي ميزاب بفضل المعهد وأبنائه أكبر معقل للإسلام والعربية في الجزائر.⁶¹
- هذه أمثلة عن الإدارات والعلماء المفكرين والجيل الصالح الذي كونه معهد الحياة سابقا، عسى أن يكونوا قدوة للجيل الصاعد. ونؤكد على أن معهد الحياة لم يتوقف عن إمداد المجتمع الجزائري بالنخبة وتكوين الأجيال ورسالته لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا، ترسل ظلالها إلى أفق المستقبل، ويكمن الاطلاع على جهود المعهد اليوم في التعليم الذي يمتد على ثلاث مراحل التعليم المتوسط (مدته أربع سنوات)، التعليم الثانوي (مدته ثلاث سنوات)، مرحلة التعليم الشرعي . الجامعي . وينتظم طلبة المعهد في نواد متخصصة شرعية وأدبية وعلمية وفنية يتدرب الطالب خلالها على الكتابة والحوار. كما يخرج المعهد سنويا عشرات الحفظة لكتاب الله.

⁶⁰ . كاتب غير محدد، الشيخ عدون وأبناء المعهد ودورهم في الحركة الوطنية والسياسية قديما وحديثا، ستار تايمز، تاريخ

النشر (2010.07.14) ، الساعة 00:38 ، ستار تايمز ، تاريخ الدخول: 2021.05.31 ، الساعة 15:56 .

⁶¹ . محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص179.180.

بهذا يكون معهد الحياة قد ساهم في النهضة وتربية النشء وتهذيبه، وتكوين للجزائر جيلا رساليا مثقفا متشعبا بالثقافة الإسلامية العربية.

وقد أشاد الأستاذ بسام العسلي بأهمية تجربة معهد الحياة يقول: "تبقى تجربة الشيخ عبد الحميد بن باديس" و"جمعية العلماء المسلمين" و"معهد الحياة" من التجارب التاريخية الخالدة الرائدة، لا باعتبارها تجارب قد مضت وانصرمت، وإنما باعتبارها أيضا من التجارب التي تحتفظ بكل فائدها وأهميتها لا في الحدود الزمنية أو في حدود الإطار الجغرافي للجزائر. إنها تجارب حية، تمتلكها الأمة الإسلامية والعالم العربي وهي جديرة بالدراسة والتعلم.⁶²

⁶². بسام العسلي، المرجع السابق، ص 221.

خاتمة:

اهتم هذا البحث بتحديد دور معهد الحياة في الإصلاح من خلال التربية والتعليم وأثره في الواقع و الجزائر. وقد توصلنا من خلاله إلى النتائج التالية:

- تمكن تيار المجددين من تجاوز أزمة معهد الشيخ الحاج عمر، والتخلص من نظام التعليم القديم، وذلك بتأسيس معهد الحياة.
- أسس معهد الحياة الشيخ بيوض ومعه مجموعة من أهم الشيوخ في منطقة القرارة أمثال الشيخ عدون بن بلحاج، صالح بن يوسف، عبد الله بن إبراهيم الدلال، أبو اليقظان...
- معهد الحياة هو امتداد لما قبله من المؤسسات التربوية، مع تجديد وتطوير في مناهج التعليم والمواد المقدمة.
- معهد الحياة من أهم المؤسسات التربوية في منطقة وادي ميزاب، والجنوب الجزائري عامة.
- لم يقتصر المعهد على التكوين النظري بل جمع بين التربية العقلية، الخلقية والبدنية. فكانت تربية متكاملة.
- أفاد معهد الحياة في تكوين جيل مثقف صالح، ساهم في نهضة الشمال والجنوب.
- معهد الحياة كان ولا يزال يمد الجزائر ويساهم في تأطير الأجيال وتربية النشء الصالح.

لذلك نوصي ب:

- العناية بالحركات الإصلاحية وروادها في الجزائر عامة والجنوب الجزائري خاصة، وتوجيه الأنظار إليها وذلك من خلال تنظيم الملتقيات والمؤتمرات لإبراز دور هذه الحركات في تحقيق النهضة الحضارية الحديثة في الجزائر. والإفادة من هذه المشاريع دون إقصاء لأي جهد.
- الاهتمام بمعهد الحياة خاصة، باعتباره تجربة تربوية تستحق البحث والتطوير، لا تزال تخرج للجزائر جيلا صالحا مصلحا إلى يومنا.

قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

1. بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط3، 1983.
2. سعيد بن بالحاج شريفي، معهد الحياة نشأته وتطوره، تقديم: محمد صالح ناصر، جمعية الحياة وجمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط2، 2009.
3. مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط2، 2002.
4. محمد علي ديبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 إلى عام 1975، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1976م، ج2.
5. محمد خير رمضان، تنمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1466هـ، ج2.
6. محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، دار ناصر، الجزائر، ط1، 2018، ج2.
7. محمد علي ديبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثروتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1969، ج3.

المقالات:

8. إبراهيم أبو اليقظان، موجة الإصلاح الديني، جريدة البصائر، العدد الأول، 1935.
9. سعيد بن بالحاج شريفي، معهد الحياة ورسالته، مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة، القرارة، نشر جمعية التراث، غرداية، ع2، 1999.
10. كمال عويبي، دور مؤسسات التعليم بوادي ميزاب في الحفاظ على الهوية الوطنية معهد الحياة بغرداية نموذجا، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج:10، عدد7.
11. محرز عبد السلام، محمد بن قاسم ناصر بوحجام وإسهاماته الأدبية، مجلة السياق، مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري، جامعة غرداية، المجلد 7، ع1، 2022.
12. محمد ناصر بوحجام، المعلم الكفاء يحل كثيرا من مشاكل التعليم، مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة، القرارة، نشر جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ع1، 1998.
13. مصطفى بن صالح باجو، الشيخ سعيد بن بالحاج الشريفي في الخالدين، مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة، القرارة، نشر جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ع10، أكتوبر 2006.

مواقع الانترنت:

14. جمعية التراث، الاستاذ الدكتور والشيخ الوقور الحكيم عمر بن حمو سليمان بوعصبانة.
15. كاتب غير محدد، الشيخ عدون وأبناء المعهد ودورهم في الحركة الوطنية والسياسية قديما وحديثا، ستار تايمز، تاريخ النشر (2010.07.14)، الساعة 00:38.
16. المكتبة السعيدية، يحي محمد بكوش.

17. الموقع الرسمي للشيخ محمد علي دبوز، مكتبة الصفاء.

الرسائل الجامعية:

18. قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج ، معالم النهضة الإصلاحية عند الإباضية (رسالة دكتوراه: تخصص عقيدة) ، قسم العقيدة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، الجزائر.